بـــاب القيادة

□ سؤال عن الواصلة ! :

عن ابن الأشوع أنه سُئِلَ عن الواصلة فقال : إنك لمَنَقِّر[1]، قالت عائشة – رضى الله عنها –: ليست الواصلة بالتى تَعْنُون[2]، وما بأسٌ إذا كانت المرأة زَعْراء[3] أن تَصِلَ شَعْرَهَا !

ولكن الواصلة أن تكون بغيًّا فى شبيبتها ؛ فإذا أسنَّتْ وصَلَتْه[4] بالقِيادَة .

□ ظُلْمة (القوّادة) وكيف كانت ؟ :

قالوا : كانت ظُلمةُ[5]– التى يضرب بها المثل فى القيادة – صَبِيّة فى الكُتّاب[6]، فكانت تضربُ دُوِيّ الصِّبيانِ وأقلامهم ، فلما شبّت زنت ، فلما أسَنّتْ قادت ، فلما قعدت اشترت تَيْسًا تُنَزِّيه[7] على العَنْز .

□ لا يتكلم فيها إلا زانٍ ! :

وذكر المدائنى : أن رجلاً من رجال السلطان كان لايزالُ يأخذ قوّادَة فيحبسها ، ثم يأتيه من يشفع فيها فيخرجها ، فأمر صاحب شرطته فكتبَ فى قِصَّتِها :

فلانةُ القَوَّادة تجمعُ بينَ الرّجالِ والنِّساءِ لا يَتَكلَّمُ فيها إلا زانٍ ، فكان

---

(١) التنقير : البحث والتفتيش .

(٢) ذكر ابن الأثير فى مادة وصل أنه ﷺ « لعن الواصلة والمستوصلة » ثم قال : الواصلة : التى تصل شعرها بشعر آخر زور ، والمستوصلة : التى تأمر من يفعل بها ذلك ثم قال : وروى عن عائشة أنها قالت : ليست الواصلة بالتى تعنون ، ولا بأسَ أن تَعْرَى المرأةُ عن الشَّعْر فتصل قرنًا من قرونها بصوف أسود ، وإنما الواصلة التى تكون بَغِيًّا فى شبيبتها فإذا أسنت وصلتها بالقيادة . ثم قال : وقال أحمد بن حنبل : لما ذكر له ذلك : ما سمعتَ بأعجبَ من ذلك !

(٣) زعراء : قليلة الشعر . (٤) فى اللسان مادة وصل : وصَلَتْها .

(٥) كانت ظُلْمة : فاجرة هذلية – كما جاء فى القاموس – أسنت وفنيت فاشترت تيسًا ، وكانت تقول : أرتاح لِنبيبه (صياحه وهياجه) فقيل : « أفْوَدُ من ظلمة » و« أفجر من ظلمة » . وقد ذكر الميدانى هذا المثل .

(٦) الكُتّاب : مكان تعليم القراءة والكتابة والقرآن والحساب .

(٧) تُنَزِّيه : تحمِلُه عَلَى الوُثُوب والنَّزَوانِ .

إذا كُلّم فيها قال :

أخرجوا قِصتَّها ، فإذا قُرِئَتْ قام الشَّفِيعُ مُسْتَحْيِيًا .

□ ماذا قيل فيهن من الشعر ؟ :

● قال جِرَانُ العَوْدِ :

يُلَغْهُنّ الحاجَ كُلَّ مُكَائِبٍ ... طويلِ العصا أو مُقْعَدٍ يَتَزَحَّفُ[٨]

ومَكْمُونَةٍ رَمْدَاءَ لا يَحْذَرُونَها ... مكائِبَةٍ تُرْمِى الكلابَ وتَحْذِفُ[٩]

رَأَتْ ورقًا بيضًا فَشَدّت حزيمَها ... لها فهى أمضى من سُلَيْكٍ وألْطَفُ[١٠]

● وقال الفرزدق :

يُلَغْهُن وَحْىَ القَولِ مِنِّى ... ويُدْخِلُ رأسَه تحتَ القِرامِ[١١]

● وقال حُمَيد بن ثورٍ :

خَلِيلَيَّ إنى أشْتَكى ما أصَابَنِى ... لِتَسْتَيْقِنَا ما قَد لَقيتُ وتَعْلَمَا[١٢]

فلا تُفْشِيَا سِرِّى ولا تَخْذُلَا أخًا ... أَبَثَّكُمَا منه الحديثَ المكَتَّمَا

وقولا إذا جاوزتُما أرضَ عامرٍ ... وجاوزتُما الحَيَّين : نهدًا وخُثْعَما[١٣]

نَزِيعَان من جَرْمِ بن رَبّانَ إنّهم ... أَبَوْا أن يُرِيقوا فى الهزاهِزِ مِحْجَمَا[١٤]

وخُبًّا على نِضْوَيْنِ مُكْتَفِلَيْهِما ... ولا تحملا إلّا زِنَادًا وأسْهُمَا[١٥]

وزادًا غريضًا خَفِّفَاه عليكما ... ولا تُبْدِيا سِرًّا ولا تَحْمِلاَ دَمَا

---

(٨) الحَاجَ : جمع حَاجَة . والمكائب : العبد الذى يكتُبُ على نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه عتقه . يريد أن هذا المكائب يأتى منازلهن بعلة الصداقة ، فإذا أصاب خلوةً أبلغهن ما نريد .

(٩) المكمونة : من بعينها رمد وفى أجفانها ورم وغلظ واحمرار . وقوله : ترمى الكلاب وتحذف : أى أنها تتظاهر بالجنون !

(١٠) حزيمها : أى أمرها ورأيها على ما تريد منها من الإبلاغ فهى أمضى على الهول من سليك بن سلكة السعدى ، وألطف : أرفق بمانريد .

(١١) القِرام : ستر فيه رقم ونقوش وكذلك المقرم والمقرمة .

(١٢) قال المؤلف عند ذكره لهذه الأبيات فى كتابه : الشعر والشعراء : ومن خبيث الهجاء قوله فى رجلين بعثهما إلى عشيقته .

(١٣) ، (١٤) فى هذين البيتين يأمر مبعوثيه إلى عشيقته أن ينتسبا إلى جرم لأن العرب تأمنها ولا تخاف منها غارة فهم لا يَقْتُلُون ولا يُقْتلون ، فليس أحد من العرب يطلبهم بوتر ولا طائلة ، فلذلك أمر صاحبيه بالانتساب إليهم لئلا يذكرا غيرهم من القبائل ، فيكون الذى يسألهما عن نسبهما يطلب تلك القبيلة ، التى ذكراها بطائلة ؛ فيقتلهما ، وهذا من غريب الهجاء وبديعه كما قيل ! والنزيعان : الغريبان . والهزاهز : الفتن التى يهتز فيها الناس .

(١٥) مكتفليهما : يقال : اكتفل البعير : جعل عليه كفلاً وركب عليه .

وإن كان ليلٌ فالْوِيَا نَسَيْكُمَا ... وإن خِفْتُما أنْ تُعْرَفَا فتَلَثَّمَا[16]

وقولا : خرجنا تاجِرَيْن فأبطأت ... رِكَابٌ تركناها بتثليثَ قُوَّمَا[17]

ولو قد أتانا بُزُّنا ودَقِيقُنَا ... تَمَوّل منكم من رأيناه مُعْدِمَا

ومُدَّا لهم فى السّوْم حتى تمكّنَا ... ولا تَسْتَلِجَّا صَفْقَ بيع فيلزَمَا[18]

فإن أنتما اطْمَأْنَنْتُما فأمِنْتُما ... وخُلِّيتُما ما شئتُما فتكلّمَا

وقولا لها : ما تأمرين بصاحبٍ ... لنا قد تركتِ القلْبَ منه مُتَيّمَا

أبينى لنا إنّا رَحَلْنا مَطِيّنَا ... إليك وما نرجوك إلا تَوَهُّمَا

● وقال المأمون لرسول بَعَثَ بِهِ :

بعثتُك مُرْتادًا - فَفُزْتَ بنظرةٍ ... وأُحْلَفْتَنى حتى أسأتُ بك الظَّنَّا[19]

وناجَيْتَ من أهوى وكنتَ مُقَرّبًا ... فياليت شعرى عن دُنُوِّكَ ما أَغْنَى

وردَدْتَ طَرْفًا فى محاسِنِ وَجْهِهَا ... ومَتّعْتَ باستِسْمَاعِ نَغْمَتِها أُذْنا[20]

أرى أثراً منها بعَيْنَيْك لم يكن ... لقد سَرَقَتْ عَيْناكَ من وجْهِهَا حُسْنا

● وقال بعض المحدَثين :

يا سُوءَ مُنْقَلَبِ الرسو ... لِ مُخَبِّرًا بخلافِ ظَنّى

إنى أعيذُك أن تكو ... نَ شَغَلْتِنى وشُغِلْتَ عَنّى

□ أَمَةٌ خَطِيرة ! :

وقال زيد بن عمرو فى أمته :

إذا طَمِثَتْ[21] قَادَت ، وإن طَهُرَت زنت ... فهى أبداً يُزْنَى بها وتَقُودُ !!

بـاب الزّنا والفُسُوق

□ لماذا يُبْقِى عَلَيْها مَعَ ما يَعْرِفُه عنها ؟! :

العُتبى قال : قيل لرجل فى امرأته - وكانت لا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ[1] - :

(١٦) الْوِيَا نسيكما : أى أخْفِيَا نسيكما ولا تُظهِراه . (١٧) ثَلِيثَ : موضع بالحجاز قرب مكة .
(١٨) استَلَجَّ : تمادى وألحّ . (١٩) مُرْتادًا : طالبا مُتفقدًا لتعلم الحقيقة .
(٢٠) الاستسماع : بمعنى : الاستماع . (٢١) طَمِثت : حاضت .
(١) قيل فيها : وُجِّهت إليها تهم أخلاقية . ولا تردّ يد لامس : لا تتعفف ولا تصون نفسها .